الملتقى الوطني: جامعة العربيّ بن مهيدي أم البواقي

صورة الشّرق في ضوء الدراسات الاستشراقية – الحيادية والتجاوز

الاسم واللقب: بوهلالــة أمحمد

الرتبة: أستاذ محاضر(أ)

المدرسة العليا للأساتذة بشار

mhamedbouhlala@gmail.com

عنوان المداخلة:

الصورة النمطيّة للشّرق في الخطاب الاستشراقي وأثرها في تكريس الهيمنة الايديولوجية

* (تندرج هذه المداخلة ضمن المحوّر الرابع للملتقى) *

يعدُّ الاستشراق بوصفه مفهومًا وموضوعًا وتوجهًا في الكتابة نمطًا من أنماط الخطاب الضاربة في القِدّم. ولعلَّه يعود إلى فترة امتداد وتوسُّع الدولة الإسلاميّة، واحتكاكها وتفاعلها مع الحضارات المجاورة لها. ويُعرف الاستشراق على أنَّه طلب علوم الشّرق واتّجاه في التخصّص لمعرفتها. وتتعلَّق صفة المستشرق بالآخر؛ فهو "الغربي" الذي يتخصَّص في علوم الشّرق، فيبحث في علوم اللُّغة والتاريخ، والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، فيُلِمُّمعرفةً بالشّرق وحضارته وفنونه. ولقد انعكس التصوُّر الغربيّ للشرق وِفقَ الأفكار التي نسجها المستشرقون ودأبوا يُوطّدونها في نتاجهم الفكري والأدبي؛ من نثر وشعر، وفي أنواع الخطاب الروائي والمسرحي والسينمائي والفني. ولعلَّه من الأهميّة بمكان، الاشارة إلى الجهود النقديّة والأدبيّة - في الوطن العربيّ - التي مثلت نسقًا هامًّا في اكتشاف الذَّات والتعامُل مع الخطاب الاستشراقي في إطار راهن المثاقفة والايديولوجيا، ومقومات الحوار الشمولي.

فوفق منهج تكاملي، وباستعمال أدوات إجرائية من وصف وتحليل .نسلّط الضوء في هذه الورقة البحثيّة على الصورة النمطيّة المختلفة الأبعاد والمتعددَّة المستويات التي جعل منها المستشرقون طابعًا وأيقونة تُميّز كل ما هو شرقي بكل ما تحتويه من حقيقة وزيف ومغالاة. وتندرج تحت هذه الاشكالية التساؤلات التالية:

- ماهي الصورة النمطيَّة التي تشكلَّت من كل ما هو شرقي لدى المستشرقين؟ وما هي مستوياتها وأبعادها؟

- ماهي أهداف ومقاصد الكتابة الاستشراقية في الراهن المعيش؟

- كيف يمكن مجابهة النظرة الاستشراقية في ظل الهيمنة الأمريكية على مستوى الفكر والكتابة والسياسة والفن؟

- ماهي سبل تقويض الصورة النمطيَّة للشّرق في أعيّن القارئ الغربي؟

1- مفهوم الاستشراق وتأسيسه:

1.1- تعريف الاستشراق لغة:

كلمة الاستشراق مأخوذة من كلمة (شرق)، ويُقال: شَرقَت الشَمسُ إذا طلَعت، وهي تعني مَشرِقُ الشمسِ (الرازي، 1999)والشّرق: خِلافُ الغربِ، والشّرق كالطّلوعِ، وشَرق يَشرُقُ شُروقًا، ويُقال لِكلِّ شَيءٍ طَلَعَ من قِبَل المشرِق(الفراهيدي). والتَّشريقُ: الأخذُ في ناحية المَشرِق، يُقال: شتَّانَ بينَ مَشرِق ومغرِب، وشَرقوا: ذهبوا إلى الشّرق أو أتوا الشّرق، وكل ما طلع من المَشرِق فقَد شَرَق 3(الأنصاري، 1414هـ)فالشّرق يرمزُ إلى ذلك الحيِّز المكاني من الكون، وهو الشّرق.

2.1- مفهوم الاستشراق اصطلاحًا:

هو اتجاه فكريُعنى بالإسلام والمسلمين، ويشتمِل ذلك كُلّ ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، والسنّة، والشريعة والتاريخ، وغيرها من مجالات الدراسات الإسلاميّة الأخرى(السرحاني، دت، صفحة 77). والمقصود به أيضا ذلك التيّار الفّكري الذي يتمثّل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشّرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته، وأديانه، وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيّار في صياغة التصوُّرات الغربيّة عن الشّرق عامّة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصّة، معبِّرًا عن الخلفيّة الفكريّة للصراع الحضاري بينهما(الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1420هـ). ويرى جابر قميحة أنَّ المراد بالاستشراق ما يقوم به الغربيون من دراسة لتاريخ الشّرق وأممه، وعلومه، وعاداته ومعتقداته وأساطيره.

ولقد حلّل إدوارد سعيد في كتابه المرجعيّالاستشراق الظاهرة تحليلا عميقًا، وربط مفهومه بنوازع الإمبرياليّة المتأصلّة في الغرب، فبالنسبة إليه الاستشراق هو: أسلوب للخطاب أيّ للتّفكير، والكلام تدعمه مؤسّساتوبحوث علميّة، وصوَّر، ومذاهب فكريّة، بل وبيروقراطيّات استعماريّة وأساليب استعماريّة (سعيد، 2006، صفحة 44). ويشير المفهوم إلى كل من يعمل بالتدريس والكتابة، أو إجراء البحوث في موضوعات خاصّة بالشّرق، سواء كان ذلك في مجال الأنثروبولوجيا، أو علم الاجتماع، أو التاريخ، أو فقه اللّغة، وسواء كان ذلك يتّصل بجوانب الشّرق عامّة أو خاصّة، وبذلك فالاستشراق وصف لهذا العمل.

3.1- التأسّيس لمفهوم الاستشراق:

لعلّ أوّل ظهور للمفهوم بوصفه نمطًا في موضوع الكتابة وتوجُّهها الخاصّ يعود إلىأيّام الدولة الأمويّة في القرن الثاني للهجري، وأنَّه نشط في الشّام على أيدي الراهب يوحنَّا الدّمشقي في كتابين له، الأوّل بعنوان حياة محمد، والثاني عنوانه حوار بين مسيحي ومسلم. وكان هدفه ارشاد النصارى إلى جدال المسلمين (إلميركولييف، صفحة 02). ونلفى من تعريفات الاستشراق أنَّه طلب علوم الشّرق، واتجاه للتخصّص في معرفتها. والمستشرق هو المتخصّص في علوم الشّرق، وحضارته، وآثاره وفنونه، وأطلقت كلمة مستشرق لأوّل مرّة

سنة 1630معلى أحد أعضاء الكنيسة الشّرقيّة (النبهان، 2007، صفحة 11). وشمل المصطلح معنى أعمّ؛ هو معرفة لغات الشّرق.

لعلَّه من المؤَكد أنَّ بعض الرهبان الغربيين، وطلبة العلم الذين توجَّهوا إلى بلاد أيبيريا- أي بلاد الأندلس- عندما كانت مركزا للإشعاع العلمي والثقافي، ومنارةً للإشراق الحضاري كانت لهم أهداف وغايات. لقد تعلَّم هؤلاء وتثقفوا في الجامعات والمدارس، والجوامع العربيّة. ونهلوا منها جميعها ما أمكنهم من العلوم. ترجموا معاني القرآن، وكتب العربيّة إلى لغاتهم. واكتسبوا مختلف العلوم في الفلسفة، والطب والرياضيات، والكيمياء وغيرها(...). وعندما عاد هؤلاء الرهبان والباحثين إلى بلدانهم أسسُّوا المدارس والمعاهد، وأخذت المجتمعات والأمّم غير العربيّة تدرُس مؤلفات العرب المترجمّة إلى اللاتينيّة، وتنهل منها العلوم المختلفة.

وفي المراحل التاريخيَّة اللاحقة للعصر الأندلسي بدأت مرحلة الاستغلال والاستيلاء على الممتلكات الفكريّة والعلميّة. ويقال أنَّ الاستشراق اللاهوتيأوَّل ما ظهر حين صدور قرار مجمَّع فيينّا الكنسي عام1312م، وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللُّغة العربيّة في عدد من الجامعات الأوربية، ولم يظهر الاستشراق في أوربا إلَّا مع القرن الثامن عشر. ظهر في انجلترا عام1779م، وفي فرنسا عام 1799م، كما أُدرِجَ في قاموس الأكاديميّة الفرنسيّة سنة1838م.(الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1420هـ، صفحة 687)

وخلاصة القول أنَّ هناك اختلاف بين المؤرخين حول تحديد بداية الاستشراق، وانقسم هؤلاء المؤرخين إلى ثلاث فئات، فمنهم من يُرجع هذا التأسيس إلى الدّولة الإسلاميَّة في العصر الأموي، ومنهم من يُرجعه إلى العصر الأندلسي، أمَّا الفئة الثالثة فترُدُّه إلى أيّام الصليبيين.

لقد حاول الغرب من خلال كتاباته الاستشراقية أن يقدِّمَ نظرته حول الشّرق، وقد ظهرت كلمة مستشرِق في الفرنسيّة سنة 1799، أمَّا مصطلح الاستشراق فظهر سنة 1830 ، وأثبت له قاموس روبار الصغير معنيين: المعنى الأوَّل هو العلوم الخاصّة بالشّرق والمعنى الثاني الميلُ إلى الشّرق(Rey, 2014, p. 1760)

2- الصورة النمطيَّة للشّرق في أعيُّن المستشرقين:

لقد عكف المستشرقون على تباحث النتاج التاريخي الإسلامي باستخدام المناهج التي شاعت في عصرهم، وحاولوا الوقوف على المادّة التاريخيّة، والدينيّة بادعائهم تقمُّص التجرُّد والموضوعيّة. غير أنَّ كتاباتهم في مجملها لم تنتهج المسار العقلاني بقدر ما استهدفت تشويه صورة الإسلام والمسلمين، والتكتُّم على المُنجَز الحضاري العربيّ الإسلامي في أيامه الزاهيّة التي عرفها العصر العباسي، والعصر الأندلسي حيث ازدهرت كثير من العلوم، والمعارف في مناحي الحياة المختلفة. لم تكن الموضوعيَّة تخالج الحاقدين من رجال الكنيسة أولئك الذين اضطلعوا على القرآن، والسيرة النبويّة. وقد كانت دوافعهم تتراوح بين سوء فهم

تارةً، وتعمد في التزييف والتحريف، والنكران تارةً أخرى. لقد انطلق هؤلاء من موروثهم العقائدي المحرَّف وأدّت نظرتهم إلى الإسلام وإلى شخص النبي محمد إلى التعصُّب. ولقد فعلت الدعاية المغرضة فعلتها لِما رُوِّج من الأكاذيب، والشائعات عن حقيقة الإسلام ورسالته، إذ ظلت حياة الأحقاد والخرافات قويّة متشبثّة بالحياة.وَصفَ المستشرقون محمداً بأنَّه دجَّال، ووصفوا الإسلام بأنَّهمجموعة الهرطقات كلها، وأنَّه من عمل الشيطان، ونعتوا المسلمين بأنَّهم وحوش، والقرآن بأنَّه نسيج من الخرافات(عزوزي، 2007، صفحة 55).

يقول فيكو: إنَّ على الباحث أن يحيط بجميع جوانب الشيء إذا أراد أن يصنعَ له تعريفا جامعًا مانعًا، وهذا شبه مُحال في العلوم الإنسانيّة، فالإنسان متعدّد الجوانب، ويعيش في ظروف متعدّدة ومتغيّرة ويخضع لعوامل التاريخ التي تؤثّر فيه مثلما يؤثّر فيها،فواجب الباحث الأوَّل هو الإلمام ورسم أكثر قدر يستطيعه من خطوط الصّورة، ودرجات ألوانها، وتحديد النِسَب الخاصّة به، والنسب بينه وبين غيره. وهذا التصوُّر هو الذي يعتمد عليه إدوارد سعيد في نقده للاستشراق (سعيد، 2006، صفحة 26). لقد اختلفت وتباينت وجهات نظر المستشرقين من ممتطي لمطيّة البحث بغرض المعرفة والاستكشاف، ولمن يركب موجة التشكيك في الإسلام والمنجَز الحضاري للأمَّة العربيّة، دون أن ننسى الفئة الثالثة، وهي الفئة القليلة المنصفّة لما جادت به العربيّة للإنسانيّة من حضارة ورقي وازدهار. أمَّا التيَّار الطاغي في الدراسة الاستشراقيّة المتناولة للقضايا الإسلاميّة، منذ بداية انتشار الإسلام هو التيَّار الذي ساق حزمة تصوُّرات غربيَّة غريبة عن المسلمين والعرب امتزجت فيها الأساطير الملفقة، والأكاذيب المحضة، والشعر الملحميّ، والحكايات الشعبيّة المنقولة بكثير من الخيال الجامح والجارح.

لقد لعب اللاهوتيون المسيحيون دورًا خطيرًا في شحذ الأباطيل حول الإسلام وافتراء الأقاويل المغلوطة بغيَّة إطفاء رسالة الإسلام عسكريًا وفكريًا. وقد يعود التعمُّد والتلاعب بالنّصوص التراثيّة من لدن المستشرقين، وقدح الإسلام والمسلمين إلى تأثُّرهم بنظرية تفوُّق الجنس الآريعلى الأجناس الأخرى، وقد استمدَّت هذه الرؤية من نظريّة رينان العرقيَّة التي أصبحت جزءً من التفكير العلميّ الأوربي في معالجة أيَّة مسألة تتّصل بالدّين أو الفّكر، أو ما أُنتِج من ضروب المعرفة(السامرائي، 1983، صفحة 15).

لقد كان للبحث الاستشراقي كثير من المدارس التي ميَّزت أطيافه. ومن أهمّ أقطابه الأوربيَّة نذكر المدرسة الفرنسيّة، والمدرسة الانجليزيّة، والألمانيّة، وكل مدرسة حلّلت وعالجت المدوَّنة التراثيَّة الإسلاميّة بما أُتيح لها من أدوات ومقاربات. لقدتنوَّع الدّرس الاستشراقي عبر مراحل زمنيّة نظرًا لتغايُر المعارف وتبدّل النظريّات، ومع ذلك نجد أنَّ المنهجية التي طبقّوها على التاريخ الإسلامي تتميَّز بنوع معيّن من الاتسّاق من ناحيّة، كما تتميّز بالتنوُّع الشديد من ناحيِّة أخرى(عبود، 1985، صفحة 346)

إنَّ ما يسميه ادوارد سعيد الاستشراق الكامن أو المستتّر يُشير إلى الموقف الثقافي لكل مَن تعرَّض للتّفكير في الشّرق أو الكتابة عنه، أو استلهامه في الأعمال الأدبيَّة في الغرب.

وهو الموقف الذي قد لا تدركه العين للوهلة الأولى، ولكنَّه يحدّد مسار الكتابة الأدبيّة والفكريّة(سعيد، 2006، صفحة 29). ويحدِّد ثلاثة معاني للاستشراق في قوله: والتبادل القائم بين المعنى الأكاديمي للاستشراق، والمعاني التي تعتبر خياليَّة إلى حدٍّ ما تبادل ثابت. وقد بدأت حركة التبادل الكبيرة، والمنتظمة بين هذين المعنيين منذ أواخر القرن الثامن عشر. وهنا آتي للمعنى الثالث للاستشراق، وهو معنى يُستنَد في تعريفه إلى عناصر تاريخيّة وماديّة أكثّر ممَّا يستند المعنيان الآخران.الاستشراق هو المؤسّسة الجماعيّة للتّعامل مع الشّرق، والتّعامل معه معناه البحث عنه، واعتماد آراء معيّنة عنه، ووصفه وتدريسه للطلاب، وتسويّة الأوضاع فيه والسيطرة عليه.وباختصار يعدُّ الاستشراق أسلوبًا غربيًّا للهيمنة على الشّرق، وإعادة بنائه والتسلُّط عليه(...) والحجَّة التي يطرحها أدوارد سعيد تتمثَّل في أنَّنا ما لم نفحص الاستشراق بوصفه لونًا من ألوان الخطاب، فلن نتمكَّن مِنفهم المبحث البالغ الانتظام الذي مكنَّ الثقافة الأوربيّة من تدبير أمور الشّرق – بل وابتداعه – في مجالات السيّاسة وعلم الاجتماع، وفي المجالات العسكريّة، والايديولوجيّة، والعلميّة والخياليّة في الفترة التاليّة لعصر التنوير(سعيد، 2006، صفحة 46). يشير المفكّر الجزائري مالك بن نبي إلى صعوبة الوقوف على مفهوم جامع مانع للاستشراق فيقول: إنَّ الاستشراق يؤخذ بعدَّة مفاهيم متداخلة، ومتكاملة في آن واحد. فهو أحيانا يُراد به ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشّرقيَّة بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب. وأحيانا يُقصد به أسلوب للتّفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرقي، والايديولوجي بين الشّرق والغرب. ومرَّة أخرى يُحدّد مفهومه بالنّاس الذين يقومون به، ونعني بهم المستشرقين، وهم الكتَّاب الغربيون الذين كتبوا عن الفّكر، والحضارة الإسلاميّة.(نبي، 1983، صفحة 130)

1.2- دوافع الاستشراق:

- الدافع الديني:

لقدنشأ الاستشراق في أحضان الرُهبان الذين لم يتفانوا في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، والتهجُّم على كل ما للعرب من حضارة وعلم وأدب، وفن وتراث. ويعدُّ الدافع الديني أهمّ الدوافع على الإطلاق، فلمَّا رأى المسيحيون اكتساح الإسلام للمناطق التي كانت تحت سطوَّتهم وكانت ديانتها السائدة النصرانيّة، ولم يكن إقبال هؤلاء النصارى على الإسلام والإيمان به، واتباع تعاليمه لسماحته فحسب. ولكن لأنَّه بعيد عن الطلاسم والتعقيدات النصرانيّة، فكان لابدَّ من الوقوف في وجهه ومنع انتشاره(مطبقاني، 1992، صفحة 566).

- الدافع الاستعماري:لقد كانت الحروب الصليبيّة في ظاهرها حروب دينيّة ولكنها كانت في الأساس حروب لاحتلال العرب واستعمارهم، فسعوا إلى التعرّف على مواطن الضعف لاستغلالها، فلمَّا تمكنُّوا من السيطرة العسكريّة والسياسيّة علينا كان من دوافع تشجيع الاستشراق اضعاف المقاومة الروحيّة والمعنويّة في نفوسنا، فقاموا بتشكيكنا فيما نمتلكه من تراث ، وما عندنا من عقيدة، وقيّم ، فنفقد ثقتنا في أنفسنا، ونرتمي في أحضان الغرب(السباعي، 1979، صفحة 17).

- الدافع العلمي:لقد كانت الحضارة التي مرَّ بها الشّرق الإسلامي دافعا للغرب لتعلّم علوم الشّرق ليلحقوا بتلك الحضارة الزاهيّة. ومن المستشرقين من أقبل على الاستشراق بدافع الاضطلاع على حضارات الأمّم وأديانها، وثقافتها ولغاتها. وهم أقلّ من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنَّهم لم يكونوا يتعمّدوا الدّس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق والصواب. وهي تتَّسم بالموضوعيَّة والأمانة العلميَّة(عليان، 1980، صفحة 46).

- الدافع الاقتصادي:لقد كان ومايزال الدافع الاقتصادي من أهمّ الدوافع للاستشراق، وهو يهدف إلى السيطرة على الثروات الماديَّة التي تمتلكها الدوَّل العربيّة. وتعدُّ الأسواق الشّرقيَّة من أهم ما تتنافس عليه الدوَّل الاستعماريّة لفرض سطوَّتها الإنتاجيَّة، لقد كانوا يشترون مواردنا الطبيعية بأبخس الأثمان، ومن خلال ترويجهم لبضائِعهم وشرائِهم لمواردِنا قاموا بقتل صناعتنا المحليّة التي كانت لها مصانع قائمة، ومزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين(السباعي، 1979، صفحة 18).

2.2- مناهج الاستشراق:

تعدَّدت واختلفت مناهج الاستشراق التي اعتمد عليها المستشرقون الأوائل، ونذكر منها:

- منهج المطابقة والمقابلة: عكف المستشرقون على جمع النّصوص للتحقّق منها ومطابقتها، ثم قابلوا بين هذه النّصوص للوصول إلى ملاحظات واستنتاجات. وكانوا يرجعون إلى المخطوطات الأصليَّة التي لا تَحتمِل الزّيف حسب اعتقادهم، إلَّا أنَّه كان يحُزّ في أنفسهم تلفيق وتزييف هذه النتائج بناءً على خلفياتهم، وغاياتهم المبيَّتَّة في تصويب هذه النّصوص وتطويعها للبرهنّة على صحّتها (الحاج، 2002، صفحة 133). ولقد كانت هذه النّصوص التي اعتمدوها في البرهنّة والاستدلال باطلة في جوهرها وحقيقتها. والعيب لا يكمُّن في منهج هذه المطابقة والمقابلة بقدر ما يكمُّن في الطريقة التي يُوَظَّف بها هذا المنهج.

-منهج الأثر والتأثير: لقد نَعَت المستشرقون الإسلام أنَّه دينٌ ملفَّق من اليهوديّة والنصرانيّة. وقد ساعدهم في تلفيق هذه الفكرة كون الإسلام دين الحنيفيّة السمحاء، والدّين في ماهيته وأصله واحد، وإن تعدّدت الرسالات والرسل. لقد حرص أكثّر المستشرقون أمثال جولد تيسيهر وشاخت على أنَّ الإسلام مستمدٌّ من اليهوديّة، وتأثيرها فيه (السباعي، 1979، صفحة 21).

- المنهج التاريخي: يُعتمد في هذا المنهج على ترتيب الوقائع التاريخيّة، وتبويبها ثم الاخبار عنها، والتعريف بها بوصفها الظاهرة الفكريّة ذاتها. (السباعي، 1979، صفحة 166). وقام هؤلاء المستشرقين باتباع هذا المنهج لإثبات أنَّ حقيقة القرآن الكريم وما ورد فيه من علم، وأحكام وتشريعات سماوية، ما هي إلّا اعادةِ لِمَا جاءت به الكتب السماويّة التي ظهرت قبله.

- المنهج الإسقاطي: يتمثَّل هذا المنهج في خضوع الباحث إلى هواه، وعدم استطاعته التخلُّص من الانطباعات التي ورثها من بيئته الاجتماعية والثقافية، وعدم تجردِّه من الأحكام المُسبقة المتعلقَّة بموضوع بحثه، أي التخلُّص منذاتيَّته. فالمستشرق وِفقَ هذا المنهج يقوم بإسقاط الواقع المعيش على الوقائع التاريخيَّة، وتكون التأويلات وفق الرؤى الخاصَّة،والانطباعات الاجتماعيّة. فهم بذلك يحاولون إثبات الصورة المرسومة، والمفاهيم العالقة في أذهانهم حتى وإن استحال وقوعها، وينفون الحقائق الواقعة التي تتصوَّرُها أذهانهم. ويمكن الإشارة- حول ما سبق- إلى أنَّ هذه المناهج كانت وليدة عصرها، ولم يكن لها الحظ لتستمِّر إلى زمننا الراهن لأنَّها خاضعة لناموس التطوَّر،وتتميّز بعدم الثبات وفق تطوُّر مجال الدراسات النقديّة.

3.2 الخطاب النقدي الحداثي المناوئ للاستشراق:

الحديث عن الاستشراق يعني الحديث عن المشروع الثقافي البريطاني والفرنسي، وهو مشروع ذو أبعاد متفاوتة تَضمُّ من الأصقاع ما يتفاوت تفاوت الخيال نفسه، ويشتمل الهند بأكملها وبلاد الشّام، ونصوص الكِتاب المقدَّس، وما ورد ذكره فيها من أرض. وقد كان الشّرقفي الفّكر الاستشراقي ينحصر معناه تحت سُلطة بريطانيا وفرنسا حتى نهايّة الحرب العالميّة الثانيّة. وأمَّا منذ انتهاء هذه الحرب، فأمريكا هي التي تسيطر على الشّرق، وتتبِّع في ذلك ذات المنهج الذي كانت تتَّبِعه فرنسا وبريطانيا.

انبرت أقلام عربيَّة كثيرة لمواجهة المَدّ الاستشراقي في عصر النهضة، وعصر الحداثة وما بعد الحداثة. لقد أدرك الفّكر الحداثي أنَّ العائق الأكبر لتبيّئة الحداثة العلمانية الغربية في المجتمعات الإسلاميَّة يكمن في هذه الأصول التي بها حُفِظ الإسلام وحُفظت شريعته، فاتّجه رأسًا إليها من الأساس سعيًا في تفكيك المنهجيَّة المعرفيّة، وهدم بنائِها بمعوَل الفّكر الغربي المعاصر، وذلك من خلال هدفين عامين سعى لتحقيقهما، وهما:

محاولة التّأكيد على ظنيّة ثبوت القرآن وحيًا إلهيًا، ومن ثم ظنيّة ثبوت الأصول الأربعة أصولا مرجعيّة نهائيّة، والثاني، وهو مبني على الأوّل: محاولة التأكيد على تاريخية تلك الأصول بمعنى استحالة أن تكون مطلقة متعاليّة عن تحكُّم الواقع الماديّ التاريخي في تكوينها وإنتاجها ومن ثم محدوديّتها بزمانها الذي ظهرت فيه (القرني، 1424هـ، صفحة 06). وتُعدُّ النهضة بمقوماتها الفكريّة، والتاريخيّة، وامتداداتها الراهنة من اشكاليَّات الفّكر العربيّ والإسلامي وذلك بسبب تعدُّد التيّارات العربيّة المعاصرة حول تصوُّر هذه النهضة ومنطلقاتها، وشروط تحقيقها، وهذه التيارات تصنف إلى تيارين عامين:التيّار الإسلامي باختلاف توجهاته، والتيّار العلماني باختلاف تياراته(الأنصاري م.، 2003، الصفحات 15-36). يقول الجابري: منذ بدء اليقظة العربيّة الحديثة مع أوائل القرن التاسع عشر، والفكر العربيّ بمختلف اتجاهاته وتياراته يعيش مشكلة النهضة، أو على الأصَّح يبحث عن مشروع للنّهضة، بل يجب القول: إنَّ مشكلة النهضة هي التي كانت، ولا تزال وراء انبعاث الفّكر العربيّ وانقسامه إلى اتجاهات وتيّارات. ولعل ذلك كان وما يزال نتيجة للتّأثير الايديولوجي

الذي مارسته الكتابات الاستشراقيَّة لهدم مقوِّمات الفّكر العربيّ من جهة، ولعدم ركون هذا الفّكر إلى توجه منهجي تراتبي ومتنامي قائم بذاته (الجابري، 1994، الصفحات 15-36). ولعلَّ هذه الفكرة قادت إلى أنَّ التأسيس الأولي الذي يقيم عليه الفّكر الحداثي العربيّ مشروعه فيما يسميه إعادة قراءة التراث. وهو هدم التصوُّر العمودي للكون، بمعنى إعادة تصوُّر العلاقة بين الله والإنسان!وينقل الجابري عن كوسدورف القاعدة التاليّة: يُتحدّد نظام كل ثقافة تِبعًا للتصوُّر الذي تكوِّنُه لنفسها عن الله، والإنسان، والعالم، وللعلاقة بين هذه المستويات الثلاثة من نظام الواقع(الجابري، تكوين العقل العربي، 1996).

ويرى محمدأركون أنَّ المشكلة الكبرى التي تواجه الحداثة، والنهضة عموما تكمُن في مشكلة وجود الله، وكيفيَّة تصوُّر هذا الوجود عبر التاريخ!! وأنَّ الانتقال من تصوُّر ما يسميه القروسطى عن الله، وعن علاقة الإنسان به إلى التصوُّر الغربي الحديث، والحداثي منه على وجه الخصوص يُشكّل القطيعة الأبستمولوجية الكبرى التي لا بدَّ من اتخاذها حتى تتحقّق الحداثة(أركون، 2004، صفحة 274)، وهو يبيِّن الفرق بين ما يقوم به الفّكر الحداثي العربيّ من الاستعانة بمناهج العلوم الانسانيّة في نقد التراث الإسلامي، وما قامت به المنهجيّة الاستشراقيّة من ذلك؛ بأنَّ المنهجية الاستشراقيّة الكلاسيكيّة تظلّ مُصرَّة على المنهجيّة الوضعيّة التي لا تهتمّ إلَّا بالكشف عن الوقائع الثابتة والماديّة التي يمكن التحقّق منها. وتُهمِل الجانب الآخر من التاريخ، وهو تاريخ الخيالات، والتصوُّرات، والأوهام. فالتاريخ لا تحرِّكه فقط الماديّات، وإنَّما تحرّكه أيضا الروحيّات، والتصوُّرات، والخيالات، وكثيرا ما تتحوَّل هذه الأخيرة حسب رأيهإلى عوامل ضاغطة لا تقلّ تأثيرا عن الأولى. وهذا هو التاريخ الذي يدعو أركون إلىدراسته واكتشافه، وهو يراه تكملةً لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي. وقد انتقد هاشم صالح محمد أركون على هذا الطرح بقوله: أركون يريد أن يطبِّقعلى التراث العربيّ الإسلاميّ المنهجيّات نفسها التي طبقتها مدرسة الحوليَّات الفرنسيّة على التراث المسيحي الأوربي، فهو من تلامذةلوسيان فيفر، ومارك بلوك في علم التاريخ، كما أنَّه من زملاء جاك لوغوف الذي يُطبّق المنهجيّة عينها على القرون الوسطى المسيحية(أركون، 2004، صفحة 149).

ويشير على حرب إلى حقيقة ما ينطوي عليه فكر الحداثة، وهو الجانب الهدمي التقويضي للنّظام المعرفي الموروث، ولكنَّه ليس لديه مشروع بنائي جاهز لنظام معرفي ثابت. يؤكد ألآن تورين هذا الموقف حيث ينتقد الحداثة في كونها لا تُعرَّف إلَّا من وجهة أنَّها عكس البناء الثقافي وأنَّها مناهضة التقاليد، والإطاحة بالمواضعات والعقائد، والخروج من الخصوصيّات والدخول في العموميات.أو هي أيضا الخروج من الحالة الطبيعية، والدخول في عصر العقل.فالليبيراليون والماركسيون تشاطروا هذه الثّقة ذاتها في ممارسة العقل، وركّزوا بالطريقة نفسها هجماتهم الاستشراقيّة على ما سموه عوائق التحديث التي رآها البعض في الربح الخاص، ورآها الآخرون في تعسّف السلطة. (القرني، 1424هـ، صفحة 21). ولابدَّ من الرجوع إلى فكرة الحداثة ذاتها، وهي فكرة يَصعُب إدراكُها كفكرة، وذلك

لأنَّها محتجبة خلف خطاب وضعي، وكأنَّها ليست فكرة، وإنَّما هي مجرّد ملاحظة للواقع. وفكرة الحداثة تُعرَّف وكأنَّها عكس البناء الثقافي، وكأنَّها كشف الحجاب عن الواقع الموضوعي، ولذلك فهي تتبدى بطريقة سجالية أكثر منها جوهرية.

يعيب أدونيس على التفكير الإسلامي أنَّه لا يريد الخروج عن النّص؛ لأنَّه ينظر إلى النّص نظرة مثالية تجعل منه حاضرًا دائما. ولذلك فإنَّ مهمّة الحداثة تسعى إلى إلغاء هذه النظرة المثاليّة التي تمَّت حراسته بها، وإلى إعادة تقويمه. بمعنى إخضاعه إلى سلطة الحداثة وليس العكس. يقول أدونيس: في هذا المنظور نفهم كيف أنَّ التطوُّر في المعرفة الدينية إن صحّ التكلُّم على التطوّر، إنَّما هو تحرّك في النور الأصلي الشامل – نور النّص. وعلاقة المسلم بهذا النّص ليست علاقة حاضر بماض، ليست علاقة تاريخية، وإنَّما هي علاقة الإنسان بذاته وبما فُطر عليه وجوديا. فالأحسن بالنسبة للمسلم هو الأصّل المُؤسّس، وهو العهد النبوي الأوَّل، وكل انحراف عنه إنَّما هو انحدار وهبوط. التاريخ بحسب هذه النظرة هو الأصل نفسه في توهّجه وإشعاعه. هو تواصل الابتداء، هو الحضور المستمِّر للأصل. وكما أنَّ الأصل وحده يبدو فيه الوحي (النص، اللُّغة) أنَّه فجَّر الفّكر الإسلامي العربيّ ومهدَّه، وهو فجر تجلَّى في ضوئه الوجود كلّه دنيا وآخرة(دونيس، 1982، صفحة 21/1).

أمَّا المفكّر المصري حسن حنفي، فاعتمد منهجيّة إجرائيّة في إعادة قراءة التراث في أربعة من كتبه: التراث والتّجديد، موقفنا من التراث القديم 1980م، وكتاب دراسات إسلاميّة، في الأنا 1982م، وكتاب دراسات فلسفيّة، في الأنا والآخر 1987م، بالإضافة إلى حوار المشرق والمغرب مع الجابري سنة 1990م. انطلق مشروعه لتحقيق الحداثة من خلال إعادةبناء العلوم التراثيّة القديمة: علوم أصول الدّين، وهو يهدف إلى تفكيك أسس تلك العلوم، ومحاولة إثبات تاريخيتها وأنَّها نشأت من خلال معالجة هموم تاريخها الذي تحدَّدت به. ومايزال الهدف هو تجديد القديم أكثر من إبداع الجديد، خشيّة أن يُترك القديم كما هو دون تحريك وتطوير فيظلّ عنصر جذب للمحدَثين وشدِّهم نحوه، وخشية أن يأتي مجتثّ الجذور كبديل عن القديم، لا يلتفت إليه إلَّا المحدَثون. وتظلُّ المسافة شاسعة بين قِدم القُدماء وحداثَة المُحدَثين.(حنفي، 2005، صفحة 584/2).

وينطلق العروي وهو مفكّر مغربي في تأسيس مشروعه الحداثي بما يسمّيه نقد الفّكر التقليدي السائد، وذلك بالتأسّيس للمفاهيم التي تتحكَّم في الفكر، والشعور والسلوك، ويُعرف العروي في الأوساط النقديَّة بالدفاع المستمّر عن ضرورة تأصيل الحداثة في المجتمعات العربيّة انطلاقا من الفهم التاريخاني لمشكلات هذه المجتمعات، والتي تعني لديه: التزام منطق الفّكر التاريخي، وحضور العمق التاريخي في دراسة المشكلات، واختيار المناهج، والطرق الملائمة لحلِّها. ويصنّف العروي المناهج إلى نوعين: المنهج التاريخاني ويمثِّل له بهيغل، ومنهج آخر شكلاني يُمثّل له بكانط. ويبيِّن ميزة اختيار المنهج التاريخاني عن المنهج الشكلاني: لأنَّ كل محلّل للمشكلات سيواجه حتمًا الظروف التاريخية، أمَّا إذا هرب، وانغمس في التحليل الكانطيالشكلاني فسيبتعد عن المشكل، وعن فهمه في حدوده. وبقدر ما نبتعد عن

المشكل كما هو مطروح واقعيًا نبتعد عن فهمه (وقيدي و احميدة النيفر، 2006، صفحة 288). ولم تتوقَّف الكتابة النقديَّة والفلسفيَّة حول الحداثة وما بعد الحداثة بمفاهيمها المتجددّة فقط عند هؤلاء بل امتدَّت إلى غيرهم من المفكرين لم يتسِّع المجال لذكر أراءهم، ومنهم: الناقد والفيلسوف عبد الوهاب المسيري والمفكر نصر حامد أبو زيد، وهما من جمهورية مصر العربية. والمفكّر عبد المجيد الشرفي من تونس.

3. استراتيجيّة الهيمنة الأمريكية على البلاد العربيّة:

من المحال فهم الأفكار، والثقافات والتاريخ، أو دراستها دراسة جادة دون دراسة القوَّة المحركّة لها، أو بتعبير أدَّق دون دراسة تضاريس القوّة أو السلطة فيها. فمن المخادعة الاعتقاد بأنَّ الخيال وحده فرض خلق صورة الشّرق، أو جعله يتَّخذ الصورة النمطيَّة التي رسمها المستشرقون، فالعلاقة بين الشّرق والغرب علاقة قوَّة، وسيطرة، ودرجات متفاوتة من الهيمنة المركبَّة، ويدلُّ عليها بدقَّة الكتاب الرائع الذي كتبه ك.م. بانيكار، والذي عنوانه: آسيا والسيطرة الغربيّة (Panikkar, 1959, p. 123).

تصنع الدوَّل القويّة والمهيمنة خططًا استراتيجيّة مختلفة من سياسيّة، واقتصاديّة، ودعائيّة إعلاميّة وغيرها، وقد تختلف في مداها الزمني والايديولوجي، والجغرافي فقد تكون قريبة أو بعيدة المدى، وكل ذلك تبعا للظّروف الدوليّة والسياسيّة المحيطة. فإنَّ كل لحظة تقوم على وسائل وفنون، ومراحل خاصّة بكل لحظة، والغاية من كل ذلك هو أنَّ الدوّل الكبرى ومنها الولايات الأمريكيّة المتّحدة تهدف إلى أن تتبوأ مكانًا مرموقًا يحقّق لها مصالحها لدى الدوّل الأخرى، ولذلك ترتَسم لنفسها سياسة عسكريّة واقتصاديّة. وعند البحث في التحوُّلات والتطوُّرات الاستراتيجيّة الأمريكيّة في الشّرقالعربيّ نجد أنَّها تخضع للمراحل الزمنيّة التاليّة:

- مرحلة اللااستراتيجيّة:

تمتدُّ هذه المرحلة في مجالها الزمني منذ منتصف القرن التاسع عشر، وحتى أوائل القرن العشرين. ولم يكن ليعنيها من أمر الشّرقالعربيّ أكثر من أنَّه مهد المسيحيّة. وجُلّ ما اهتمَّت به أمريكا في هذه الفترة تأسيسها للمدارس التعليميّة التبشيريّة. وبهذا القدر من العلاقة والاهتمامكانت أمريكا تكلّف بعض المعلمين والمبشرين لتكريس بعض أوقاتهم للقيام بمهمَّة قناصل(Panikkar، 1959، صفحة 261). وفي هذه الفترة لم تبدِ أمريكا أيَّة خطَّة للتوسُّع أو الهيمنة تجاه المنطقة العربيّة أو الشّرق الأوسط، وربَّما كان من أسباب ذلك بُعد المنطقة العربيّة عنها جغرافيا.

- مرحلة الاستراتيجيّة القلقة:

توصف هذه المرحلة بالقلقة لأنَّ معالم وصورة المنطقة العربيّة لم تكن واضحة كل الوضوح في ذهن أمريكا. ولعل هذه الصورة القلقة بدأت ملامحها تتّضح مع بداية الحرب

العالميّة الأولى، وأوّل مظهر من مظاهر هذه المرحلة كانت قد بَدَت باهتمام رئيس أمريكا الأسبَّق الرئيس ولسن في عودة السلام إلى المنطقة، وذلك عقب انهيار الدولة العثمانية في نهاية الحرب العالميَّة الأولى. وكانت خطّة الحكومة آنذاك تتلخّص في تطبيق مبدأ تقرير المصير على الأجزاء العربيّة التي كانت تسيطر عليها الدولة العثمانية. في هذه الفترة أرسلت أمريكا لجنة لتحري الحقائق سُميَّت لجنة كينك- كرين،وكان هدفها تحقيق أماني الجماهير العربيّة غير أنَّه وقفت بعض المؤثرات السياسيّة في تحقيق الأهداف الحقيقيّة لهذه اللّجنة، وكانت مدفوعة من طرف المَدّ والضغط الصهيوني على الكونغرس، حيث تحوَّلت كل التوجُّهات إلى قرارات تصبُّ في مصلحة الكيان الصهيوني، وهي قراراتتؤيد وعد بلفور(Zaky, 1965, p. 183).

بدأ نشاط الحكومة الأمريكيّة حول التوجّه الاقتصادي، وتأمين مصالحها وذلك بالدخول في استغلال الثروات النفطيّة التي تمتلكها الدوّل العربيّة بعدما تبيّن لها ما تملكه هذه الدول من احتياطي هائل للبترول، ومحاولة بريطانيا وفرنسا السيطرة عليها لوحدها.

- مرحلة الاستراتيجيّة المباشرة والهيمنة:

تكمن القيمة الكبرى للاستشراق في كونه دليلا على السيطرة الأوربيّة والأمريكيَّة على الشّرق أكثّر من كونه خطابا صادقًا حول الشّرق. ولقد كانت الولايات الأمريكيّة المتحدّة المستفيدالأكبر من نتائج الحرب العالميّة الثانيّة، لأسباب عديدة، من بينها الدخول المتأخر للحرب، كما أنَّ أراضيها لم تكن مسرحًا لها. فكان لأمريكا السبق في رسم ملامح نظام دولي جديد يقوم على منظمّات ومؤسّسات دوليّة رسمت القوانين الدولية على مقاساتِها الخاصّة،تلك المقاسات التي تخدم مصالحها، ومصالح الدول المنضوية تحت لوائها. لم تتدخّل أمريكا - في بداية الأمر- في شؤون الدوّل العربيّة إلَّا بوصفها شريكا مع بريطانيا التي وَجدَت فيها الحليف الخبير بشؤون الشّرق الأوسط. وبعد أن أعلّنت بريطانيا عجزها عن صدّ التهديد الشيوعي في اليونان وامتداد الشيوعية في تركيا، سهّل ذلك على أمريكا التدخّلفي المنطقة العربيّة، وتحمُّل مسؤوليتها كاملة بوصفها الدولة العظمى.

لقد كان للضغط الصهيوني أثره البالغ في دفع أمريكا للتدخُّل في شؤون الشّرق الأوسط، وذلك للمحافظة على مصالحها الاقتصادية، وبذلك انتقلت أمريكا إلى المرحلة الثالثة من استراتيجيّة الهيمنة على منطقة الشّرقالعربيّ. وتقوم هذه المرحلة على بعدين اثنين، البعد العسكري والبعد السياسي. فمِن الواضح أنَّ هذه الخطَّة جسدَّتها الهيمنة العسكريَّة التي شملت منطقة الشّرق الأوسط بوصفه أحد المناطق الاستراتيجية في العالم، وفحوى هذه الخطة تعود إلى جورج كانن George Kennanالخبير بالشؤون السوفياتية، وهي تقومعلى بناء خط عسكري دفاعي(الحزام الشمالي)، ويضُمّ دوَّل المنطقة بأسرها (مقلد، 1966، صفحة 54). أمَّا الاستراتيجيّة السياسيَّة فتمثلَّت في الرضوخ إلى رغبة ومطالب الصهيونية بإنشاء دولة لها في فلسطين. فأعدَّت أمريكا خطَّة محنَّكة ومُحكمة للتأثير على الدوَّل الواقعة تحت نفوذها

في كلٍ من الجمعيَّة العامّة للأمّم المتحدّة، ومجلس الأمن الدولي للوصول إلى الهدف المنشود، وهو مشروع التقسيم ومن ثُمَّالاعتراف بإسرائيل.

إنَّ الاستراتيجيّة السياسيّة التي أعدّتها أمريكا إزاء فلسطين العربيّة كان لها تداعياتها حيث كشفت عن تناقض صارخ بين المبادئ التي كانت تدعيها هذه الدولة العظمى، وسلوكها السياسي، وخنقت بذلك التصرُّف استراتيجيّة الحصر التي نادت بها على لسان وزير خارجيتها فوستر دالاس.إنَّ أوّل تصريح بعدم الثقة بأمريكا جاء على لسان جمال عبد الناصر حين أعلن عن رفضه الانتماء إلى أيّ حلف تخطّط له وتدعمه أمريكا، وتقف من ورائه بريطانيا. لأنَّ ذلك يعني دوام الاستعمار الغربي في المنطقة العربيّة، والفرق الوحيد هو أنَّ أمريكا أخذت تحلّ محلّ بريطانيا للدّفاع عن المصالحالغربيّة الاستعماريّة نفسها.

1.3 الغزو الثقافي أحد وجوه الاستشراق والهيمنة:

يقول يوجين روستو رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجيّة الأمريكيّة، ومستشار الرئيس الأمريكي جونسون في الستينات: لا تستطيع أمريكا إلَّا أن تقف في الصّف المعادي للإسلام أي إلى جانب العالم الغربي، والدّولة الصهيونيّة لأنَّها إن فعلت غير ذلك تنكّرت للغتها وفلسفتها وثقافتها، ومؤسساتها (الغزالي، دت، صفحة 30). لقد كان لانهيار الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة وظهور الأحاديّة القطبية، التي جعلت من أمريكا الآمر الناهي والمسيطر الوحيد على العالم أثر كبير في تحوّل الأوضاع الجيو سياسيّة.لقد اتخذت أمريكا سياسات واستراتيجيات جديدة منها الاجتماعية، والثقافية، والإعلاميَّة لخلق خطاب استشراقي جديد تحت مسمّيات مختلفة منها: العولمة وحقوق الإنسانن والغزو الثقافي، والتبعيّة والتغريب والهيمنة. وهي جميعها تخدم الفّكر الاستشراقي وتوجّهه بشكل مغاير، وخفيّ وتمهّد لاستعمار غير مباشر.

وقد ساهمت حكوماتنا وشعوبنا الجاهلة، في توطيد العمق الاستشراقي وتسهيل الهيمنة الأمريكية لعدم امتلاكها للرؤيا السياسية في بناء دولة قويَّة. وإنَّا لنجد الأصوات مجتمعة لا تتعدى التنديد أو الركون إلى اللامبالاة والصمت القاتل.

لم تدع القوى العظمى - ومنها أمريكا - شعوب العالم الثالث تجمع أشتات تاريخها المرير وتؤسّس لنفسها مستقبل ديمقراطي حّر، فقد تدخلّت في مسارات الثقافة الإنسانيّة، ولم تدعها تسير في مجراها الطبيعي. فثقافة اليوم مجموعة من الأفكار المتناقضة والتعاليم اللاأخلاقية ساهمت في وجودها مؤسسات ومنظمات إعلامية دولية. لقد بثَّ الغرب بسمومه الفكريَّة لتقويض، وهدم الأسرة العربيّة المسلمة بوصفها النواة الأولى في المجتمع (الباش، دت، صفحة 209). فالثقافة الغربيَّة المعاصرة تقوم على إنكار الخالق، وتنفي دور الدّين في تنظيم الحياة العاطفيّة والاجتماعيّة.

لقد انبهر شباب المسلمين بالتطوُّر الحضاري المادّي الغربيّ وصار المسلم لا يرى غضاضة في مشاركة الكافر أساليب عيشه، حتى أنَّ بعضهم يرى ذلك من دواعي الفخر

والتباهي. فبدأ تقليد الغرب في اللّباس، والأكل والشرب، وبعض السلوكيات، والعلَّة في ذلك هي جهلنا بالنظام السياسي، والاقتصادي والاجتماعي فلم نصل إلى اليوم إلى الطريقة التي نصنع بها حاضرنا ومستقبلنا الخاص. لقد أصبحت مجتمعاتنا مجتمعات استهلاكية تنقاد وتُساق في أيّ اتجاه وجهَّت صوبه. يقول ابن خلدون: المغلوب مولع بتقليد الغالب، لأنّه يعتقد أنّ فيه الكمال، فينحو منحاه ويعتنق مبادئه، ويتعلّم لغته(القاعود، 2009، صفحة 82). وسائل الغزو الثقافي وأساليبه كثيرة ومتنوعة فهي تتناول التربية، والتعليم الفن والأدب، والأخلاق، وعلم النفس الاجتماعي والإعلام بأنواعه المختلفة، وذلك كله يوظَّف ويُستغّل في نشر الفوضى، والاباحية وإفساد الأخلاق والأعراف، وتحطيم المبادئ والقوانين والتشريعات، وقد استعملت جميع هذه الوسائل في خدمة التوجُّه الاستشراقي الذي يقوده الغرب بقيادة أمريكا، ومن يواليها للهيمنّة على العالم الإسلامي واغتصاب ثرواته.

يقول جلاوستون: ما دام القرآن موجودا فلن تستطيع أوروبا السيطّرة على الشّرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان (علي، 2005، صفحة 254). ومن سنّن الله في خلقه أن يجعل هذه الحضارات تحصد ما تزرع، وتلقى ما قدَّمت. نحن اليوم أمام تحوُّلات جيو سياسية وإقليمية قد تُكسِّر سياسة الحَصر الأمريكية التي ذكرناها آنفا، خاصّة بعد اجتياح روسيا لأوكرانيا ورفضها لأي توسُّع لحلف الناتو في مناطقها الحدودية. كما أنَّ احتياج أوروبا للثروات الطبيعية، ومنها عنصري الغاز والقمح اللذان يعتبران محركان أساسيان للنشاط الاقتصادي والصناعي والاجتماعي على حد سواء جعلها تقف عاجزة عن وجود بدائل خاصة بعد أن أوقفت روسيا أو هي على وشك توقيف تدفّق الغاز إلى هذه البلدان. ومن المشاكل الراهنة التي تعيشها أوربا اليوم مشكلة التحوُّلات المناخية المتمثّلة في الارتفاع غير المسبوق لدرجة الحرارة والتي انجر عنها جفاف الأنهار، والبحيرات وندرة الماء. لقد بدأ الشّرق والغرب يتشكلّان من جديد نتيجة لظهور قوى نووية عظمى مثل: الصين وروسيا وكوريا، وتركيا وإيران، والهند. ولعلّه لم يعد اليوم للولايات الأمريكيّة المتحدَّة وحلفائها ذلك الصوت الجهوري المسموع، ولا تلك السطوّة التي عهدناها.

خاتمة:

للمسلمين الحق في تقديم رد مناسب لكل ما يروَّج عن الإسلام وحضارته، لتغيير الصورة النمطيّة التي صاغها له المستشرقون. ولا يتمّ للمسلمين ذلك إلّا من خلال تقديم الحجج الدامغة المبنيَّة على أسس علمية ثابتة تحلّل فكرهم من داخله، وتكشف عن دوافعه وأهدافه. ويعدُّ كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد مرجعًا نوعيًا في تحليل ظاهرة الاستشراق والتصدي لها. فهو على الأقل يعالج هذا الداء الذي أصاب الأمَّة الإسلاميَّة أو يخفِّف من حدَّته. لقد شهدت الكتابات النقديّة والفكريّة التي عرفها عصر النهضة، والعصور اللاحقة له؛ عصر الحداثة وما بعد الحداثة تفاعلا وتجاوبًا مع أهمّ القضايا التي عرفها المجتمع الإسلامي، ومن بينها كيفية معالجة المدّ الاستشراقي من خلال إعادة قراءة الموروث الحضاري العربي.

إنَّ علاقة الأدب والنقد بالمجتمع، وتحوّلاته ليست بالعلاقة الأحادية الجانب بل هي علاقة قوامها التأثير والتأثّر. ففهم المشكلات والتنبؤ للمخاطر السياسيّة، والاجتماعيّة والاقتصاديّةوالايديولوجية، وفهمها جميعها هو أساس مهمّللتصدّي لها، والوقاية منها. وللكتابة الفاضحة دورها البارز في كشف حقيقة الغرب لأنَّها تقارن بين مفاهيم الأدبيات السياسية مثل الليبرالية والديمقراطية، وحقوق الإنسان، والخطاب الشمولي وواقعها وتَمثُّلِها في الحوار شرق غرب. ينتمي الخطاب الحداثي العربي إلى التيّار العلماني غير أنَّه يشتغل على إعادة قراءة التراث الإسلامي من داخله، وهو يقوم على مفاهيم أساسية هي: التاريخية والعقل مقرونا باللاعقل، والتأويلية الحديثة. وهو يهدف إلى تغيير الصورة النمطيّة للشّرق التي صنعها المستشرقون في أذهان القراء الغربيين.ولقد عمد المسلمون في العصر الراهن إلى نشر الإسلام، وتبيين حقيقته،وكشف كل زيف أحيط به وبتعاليمه. حتى أصبح تقويض الخطاب الاستشراقي مادَّة دسمةجاذبة للقرّاء الغربيين، وأصبحنا اليوم نسمع عبارة المسلمين الجدُد.

وما يمكن الإشارة إليه أيضا أنَّ المؤسسة الاستشراقية تتحكَّم في الإعلام ووسائله،فهي وتوجّهه كيفما تشاء، وقد أدى ذلك إلى تعريض الذاتية الثقافية العربية المسلمة إلى الخطر. تصل وسائل الإعلام المختلفة إلى بيوتنا وتُخرب العقل الباطن لأطفالنا من خلال الأفلام الكرتونية، والألعاب الإلكترونية وغيرها من الوسائل. ولعلَّ علة تخلفنا في العصر الحديث هو جهلنا بالعلوم الحديثة.

إنَّ من أسباب التبعيّة والانبهار، والرضوخ للغرب تلك البنيات والهياكل السياسية، والحكومية غير المشروعة التي تشكَّلت بيننا، وأصبحت عائقا أمام تحررّنا. وهذا النموذج السياسي يبتعد كل البعد عن توجهات الديمقراطية ومبادئها. إنَّ ما من شأنه أن يغيّر اتجاه الاستراتيجية الأمريكيَّة في الشّرق العربي، هو الذي يتعلَّق بالعرب أنفسهم. وأيَّة نظرة موضوعية إلى الأمَّة العربيّة، وإلى تاريخها الطويل ليشير إلى أنَّها لا يمكن أن تُعدَّ من الأمّم الذليلة. كما أنَّ أمريكا الأمس ليست هي أمريكا اليوم، لأنَّها لم تعد تتفرّد بالقوَّة والسيطرة، والريادة في عالم نوويّ مسلَّح بأقوى الأسلحة. كما أنَّه لم يَعُدللكَيانَ الإسرائيلي ذلك العضد المتين الذييتكئ عليه ويمرِّر من خلاله مايريد...

قائمة المصادر والمراجع:

أركون، م .(2004) .*قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الإسلام اليوم*، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

الأنصاري، ا. م1414هـ .*لسان العرب*.بيروت: دار صادر.

الأنصاري، م. ج .(2003) .*تحولات الفكر والسياسة بمصر ومحيطها العربيّ: محاضرات العرب في القرن العشرين*.القاهرة: مركز الأهرام للنشر.

الباش، ح. م .(دت) .*حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان*.طرابلس ليبيا: جمعيةالدعوّة الإسلاميّة العالميّة.

الجابري، م. ع .(1994) .*الخطاب العربي المعاصر*.بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة.

الجابري، م. ع .(1996) .*تكوين العقل العربي*.بيروت: مركز دراسات الوحدّة العربيّة.

الحاج، س .(2002) .*نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلاميّة*الطبعةالثانية .بيروت لبنان: دار المداد الإسلامي.

الرازي، ز. ا .(1999) .*مختار الصحاح*(الطبعةالخامسة) .ي. ا. محمد- بيروت صيدا: المكتبة العصريّة الدّار النموذجيّة.

السامرائي، ق .(1983) .*الاستشراق بين الموضوعيّة والافتعاليّة*.الرياض: الرفاعي للنشر والتوزيع.

السباعي، م .(1979) .*الاستشراق والمستشرقون، مالهم وما عليهم*.جمهورية مصر العربية: المكتب الإسلامي.

السرحاني، م. ب ..*موقف محمد أركون من القرآن الكريم*.

الغزالي، م- (دت) .*الغزو الثقافي يمتد في فراغنا*.جمهورية مصر العربية: دار الشروق.

الفراهيدي، ا. ب ..*كتاب العين (الطبعة*الخام) .الهلال ,م. ا. السامرائي ,بيروت.

القاعود، ح .(2009) .*فتاوي كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللّغة العربيّة ونهضة الشّرق الغربي وموقفهإزاء المدنيةالغربية*.القاهرة: دار الفضيلة.

القرني، م. ب(1424هـ)*هموقف الفكر الحداثي من أصول الاستدلال في الإسلام، دراسة تحليلية نقدية*.الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، مركز البحوث والدراسات.

إلميركولييف، ر.(د.ت) .*كتاب القرآن وعالمه للمستشرق يفييم ريزفان ومزاعمه حول كتاب الله.*، داربيت الإسلام.

النبهان، م. ف .(2007) .*الاستشراق، تعريفه، مدارسه وآثاره*.الرباط: منشورات المنظمة الإسلاميّة للتربيّة والعلوم والثقافة.

الندوّة العالميّة للشباب الإسلامي(1420 هـ) .*الموسوعة الميّسرة في الأديان، المذاهب والأحزاب المعاصرة(الطبعة*الرابعة) .م. ب. الجهني ,دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

حنفي، ح .(2005) .*من النص إلى الواقع محاولة إعادة بناء علم أصول الفقه* .الطبعة الخامسة.القاهرة: مركز الكتاب للنشر.

دونيس .(1982) .*الثابت والمتحوّل، بحث في الإبداع والاتباع عند العرب* .الطبعة الثالثة .(بيروت: دار العودة.

سعيد، إ .(2006) .*الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق(*الطبعة الأولى) .م. عناني ,القاهرة، جمهورية مصر العربية: رؤية للنشر والتوزيع.

عبود، م. م .(1985) .*منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، مناهج المستشرقين في الدراسات العربيّة الإسلاميّة*.الكويت.

عزوزي، ح .(2007) .*آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلاميّة - سلسلة تصحيح صورة الإسلام*(الطبعة الأولى) .فاس: مطبعة آنفو برانت.

علي، س. إ .(2005) .*أصول التربيّة الإسلاميّة*.مصر: دار السلام.

علیان، م. ع .(1980) .*أضواء على الاستشراق*.دار البحوث العلميّة.

مطبقاني، م ,1992) .أكتوبر .المسار الفكري للاستشراق .*مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية*.

مقلد، إ. ص .(1966) .الاستراتيجيَّة الأمريكيّة في العصر النووي .*مجلة السياسة الدوليّة* ,عدد*04*.

نبي، م. ب ,1983) .يونيو .انتاج المستشرقين وأثره في الفّكر الإسلامي الحديث .*مجلة الّفكر العربي*.

وقيدي، م& .,احميدة النيفر .(2006) .*لماذا أخفقت النهضة العربية*.دمشق: دار الفكر.

المراجع الأجنبية:

Panikkar. (1959). *Asia and Western Dominance.* London: George Alien and Unwhn.

Rey, A. (2014). *Le Petit Robert.*Paris: Robert.

Zaky, M. F. (1965). *Congress and Foreig Policy.* Baghdad: Ministry of Culture and Guidane.